وقد استوعبت القيادة السياسية الفلسطينية التطوّرات المحتملة للعالم، والتي بدأت ترسم ملامح عالم جديد منذ العام ١٩٨٥ (مع قدوم ميخائيل غورباتشيوف الى رأس السلطة السوفياتية وطرحه لمبادراته السياسية والعسكرية على أساس مبدأ توازن المصالح). وعلى ذلك، كانت منظمة التحرير الفلسطينية المبادرة الى تخفيض طموحها القومي من «تحرير كامل فلسطين» الى «القبول بدولة فلسطينية على جزء من فلسطين»؛ والدول العربية، بدورها، كانت بدأت، منذ زمن، تتصرّف انطلاقاً من قبولها بوضعها الراهن كدول منفصلة، وخفضت طموحها القومي «الدولة الواحدة» الى «الاتحاد الممكن». وبقبولها بوضعها كدول منفصلة، قبلت، ضمناً، بوجود اسرائيل كدولة شرق أوسطية، حيث ساد الحديث عن وجوب «تحقيق السلام العادل، والشامل، والدائم»؛ وذهاب مصر نحو السلام مع اسرائيل كان ترجمة «مصرية» للشعار المذكور.

على ما تقدم، أصبح ابقاء منطقة الشرق الاوسط كبؤرة متفجرة، أو جعلها منطقة سلام، مرهوناً باسرائيل التي بات عليها ان تنزل، بدورها، من على أشجار طموحاتها «القومية» العالية جداً، وان تقبل بما أقرّته لها هيئة الامم المتحدة، وان تقرّ بأنها دولة احتلال وتمارس استعماراً على الاراضي الفلسطينية، وبالتالي ان تبدي الاستعداد لانهاء الاحتلال وترك الشعب الفلسطيني ليقرر مصيره بنفسه. أمّا اذا اصرّت اسرائيل على التمسّك بمواقفها الراهنة التي تعبّر عنها «لاءات» رئيس حكومتها، اسحق شامير: «لا شبر»، و«لا للدولة الفلسطينية» و«لا للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية»، فان الصراع الذي بدأ مع اقامة أول مستوطنة صهيونية في العام ١٨٨٢ على أرض فلسطين سيستمر طالما ظل الشعب الفلسطيني من دون دولة مستقلة؛ وأوهام القضاء على شعب جربتها قبل اسرائيل دول أخرى من غير طائل.

هل يحتمل العالم، الذي يتجه نحو آفاق عالم جديد قائم على التعاون الكوني، نشازاً كاسرائيل تتعامل مع العالم بعقلية ما قبل أكثر من ألفي عام؟

ان الطرح الفلسطيني القائل باقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين انما يخفض من بروفيل الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني ليجعله «نزاعاً». وبقدر ما ان «الصراع» غير قابل للحل، فان «النزاع» قابل للتسوية؛ وعلى الاسرائيليين ان يستوعبوا الاتجاهات التي بدأت تسود في المنطقة؛ كما عليهم ان يستوعبوا اتجاهات العالم، أي ان يقبلوا بأنهم جزء من العالم، منه وله، وعليهم ان يسهموا بقسطهم في حل مشكلاته، وان ينتهوا من مقولة «ان العالم كله غوييم» (هناك في أوساط المفكرين الاسرائيليين أصوات عاقلة تدعو الى هذا الاتجاه، لكنها ما زالت أقلية وسط غوغاء القيادة السياسية الاسرائيلية)، وهذه مشكلة اسرائيل، وليست مشكلة الفلسطينيين الذين من حقهم الطبيعي متابعة نضالهم كي يقيموا دولتهم المستقلة؛ وعلى الاسرائيليين حل مشكلتهم بأنفسهم ولأنفسهم؛ فأحد مضامين مبادرة السلام الفلسطينية جعل «الصراع» مع الاسرائيليين «نزاعاً»، أي الانتقال من «استحالة الحل» الى «قابلية التسوية».